

## الزمن المهجن في "وشيء آخر" للمبدع عبد الملك مرتاض

### *Time Hybrid in "And Another Thing" by the Creative Abdulmalek Murtad*

د. راضية بن عريبة  
جامعة حسيبة بن بوعلي شلف - الجزائر  
radiabenariba@yahoo.fr

#### ملخص

صدر مؤخرا في شهر أبريل 2018 رواية للمؤلف الجزائري الشهير عبد الملك مرتاض وشيء آخر تجريب في نممة اللغة وعجائبية الحدث . وهي رواية تضم 523 صفحة تعالج أحداثا وقعت في قرية الزيتونة العليا التي يشرب أهلها من بئر واحدة ويتقاسمهم الجان فيها الإنس نهارا وتاجان ليلا ، فيمتزج في الرواية الزمن الواقعي بالزمن الخيالي مشكلا بذلك الزمن المهجن بحيثياته الرائعة وأبعاده الجمالية . كما تناولت الرواية شخصيات إنسية ممثلة في البطلة "سارة" وشخصيات جنية ممثلة في ملكة الجن "خناتيتوس" التي جمعت بينهما روابط المحبة والمودة . هذا الزمن جعلنا نعيش صراعات روائية ثنائية ، تكمل الشر بالخير ، والنهار بالليل ، والمرأة بالرجل ، والإنس بالجن .... في لوحة فنية تجسدت في إبداع آخر في "وشيء آخر" .

**الكلمات الدالة:** الزمن المهجن، الرواية، وشيء آخر، الأنس والجن، الدكتور عبد الملك مرتاض.

#### Abstract

Recently, in April 2018, a novel was published by the famous Algerian author "Abdelmalek Murtad" "And another thing" a testing on language manipulation and the marvels of the events .

A 523-page novel that deals with events took place in the Upper Zaytouna village whose people drink from a single well and are shared by the elves in the daytime and faery at night. The novel combines real time with imaginary time, forming the hybrid time with its wonderful qualities and aesthetic dimensions.

The novel also dealt with the characters of an actress represented by the heroine "Sarah" and the figures of the fairy represented in the Queen of the Jin "Khantitos" which brought together by of love and affection.

This time has made us live binary fictional conflicts, complementing evil with good, day by night, women with men, and men with jinn ... in a painting embodied in another creativity in "and something else".

**Key words:** *Time Hybrid, the Novel, Another Thing, the Human and Faery, Dr. Abdulmalek Murtad.*

وقد استهل المؤلف مرتاض روايته بمقارنةً فارقةً بين قطارين، أحدهما سريع عصري، والثاني بطيء متخلف، وكأنه يحاول أن يضع مفارقة، يحدها سيف الزمن والتطور والتكنولوجيا بين عالمين: المتحضر الغربي والمتخلف الشرقي.

ثم ينتقل إلى وصف قرية الزيتون العليا. ذلك المكان الساحر الذي تربت بين حقله الجميلة بطلة الرواية الفاتنة "سارة الخلوفاية"، قرية قسمها الأعلى لبني البشر والأسفل للجن، وكانت تجمعهم بئر واحدة يسقون الماء منها البشر نهاراً والجن ليلاً، ولا أحد يعلم تاريخ البئر ولا كيف طويت؟

وبعد وصف المعالم المكانية للقرية كالزيتونة العليا، والزيتونة السفلى، والوادي، والمقابر المجاورة والبيوت الشبه المهذمة والقديمة، والبساتين الخضراء، يذهب بنا إلى حكاية عشق أزلي بين "سارة" وزوجها "عمر" الذي سافر لسبع سنين طويلاً، رغبة في تحقيق حياة رغدة وطلب رزق وافر وكرامة عيش لسارة، التي لم ترفضه فقيراً في بيت سقفه من حديد وركنه من حجر وبابه من لوح هش، ينكسر بمجرد هبة ريح خفيفة.

تعرفت "سارة" إلى ملكة الجن "خناتيتوس" التي خانها زوجها الملك مع إحدى قريبتها ليطلقها ويتزوج الجنية الصبية الحسناء مقابل أن تحتفظ "خناتيتوس" بلقب الملكة وبكل امتيازاتها في عرش الجن مدينة الشخضار.

وربما غياب الزوج الأنيس السند هو من وحد العلاقة الأخوية بين "سارة" و"خناتيتوس"، حتى أصبحت كل واحدة منهما تحاول أن تملأ فراغ الأخرى "سارة" بعطفها و"خناتيتوس" بمالها وعلمها وجاها، وما وهبته لسارة من ذهب وفضة وملابس ملكية فاخرة... ولا أحد يعلم هذا السر بين خناتيتوس وسارة الخلوفاية، ممّا كثرت الأقاويل حول "سارة" حتى أنها طعنت في شرفها على لسان "زعرور" الفتى الذي هام حبا بها وهي رافضة له فكانت تزداد جمالا على جمال كل يوم، لأنها تدرك أن جمال المرأة في ابتعادها، وكان كلما دبر لها "زعرور" المكائد إلا وكانت له خناتيتوس وخدمها بالمرصاد.

يعود "عمر" - زوج سارة - وتغيب "خناتيتوس" - ملكة الجن - في مشهد حميمي في ليلة شتوية ممطرة تصادف تاريخ ليلة زفاف "سارة" و"عمر" بعد أن عثر الجن عليه وأحضره على بساط بأمر من ملكة الجن بعد سبع سنين فروى لعشوقته - سارة - عناه واشتياقه لها في المملكتين الصفاء والشقاء. وأنه لم يخنها يوماً ولم ينسها...

وراحت هي الأخرى تروي له علاقتها مع خناتيتوس وسعادتها معها.

بعد هذا المشهد الحزين والمفرح معا، قرّر الزوجان بداية حياة جديدة، فنجح "عمر" في مشروعه الفلاحي والتجاري بمساعدة "سارة"، فانقلبت حياتهما من الفقر إلى الغنى، ومن البيت البسيط إلى المنزل الفاخر، ويرزقا بـ "كريم" و"ريم".

تمرّ الأيام وتليها الشهور والسنوات، ليكبر "كريم" ويكمل

الرواية هي الترجمان الحكائي للواقع المعيش، حيث يعمد المؤلف إلى محاكاة الواقع بتوظيف التخيل السردي، والذي ينظم الوقائع والأحداث بأسلوب أدبي يذهب بالقارئ إلى عالم آخر، ويجعله يسافر بين الكلمات التي تحمل في ثناياها التاريخ الحقيقي لأمة ما.

ويعتبر الزمن "المادة المعنوية المجردة التي يتشكل منها إطار كل حياة وحيز كل فعل وكل حركة" (1)

والذي لم ينقطع في كونه في اللغة العربية متصلاً بالأصول المنطقية التي قام عليها منذ قرون (ماض، حاضر، مستقبل) (2) حيث نجد الروائيين يتعاملون مع مقولته الزمن، بتقسيمه إلى إلى ثلاثة أقسام: زمن الكتابة، زمن المغامرة، زمن الكاتب. بالإضافة إلى ما أسماه بالطباق الزمني الذي يتجلى لنا من خلال العودة إلى الوراء وما يلقي على المستقبل من استباقات، ليتحدث بعد ذلك عن الانقطاع الزمني الذي يحدث من خلال الانتقال من زمن إلى آخر باستعمال إشارات مثل (وفي الغد، وبعد قليل).

وكما نلاحظ فإن الزمن عندهم قد أخذ أبعاداً ودلالات أخرى، حاول هؤلاء من خلالها نفي مقولته مطابقة الزمن للغوي للزمن الواقعي (3).

حيث يعيش الروائي تجربة الزمن من حيث هو وعاء وجودي، يفصح عن الرؤية التاريخية للكاتب، وعن رؤيته للإنسان (4).

## 2- تعريف التهجين

استعمل التهجين عند العرب في مجلات منها: تهجين النبات، والحيوانات، والمقصود به كما ورد في بعض التعاريف هو ولید الاختلاط، ويظهر التهجين في الكتابة أو النطق بلغة عربية غريبة، جزء منها عربي والباقي أجنبي، ويستخدم بعض متكلمي اللغة العربية مصطلحات إنجليزية، وأحياناً فرنسية أو عبرية، ولها ما يقابلها بالعربية، فتستعمل داخل نص عربي هزيل، أقرب ما يكون إلى العامية، ويكون مكتوباً أو محكياً، وبعضهم الآخر يضيف لكنة أجنبية للجزء العربي من الخطاب المحكي والتهجين (5).

غير أنني في تحليل الرواية نحاول أن نخلط الأزمنة التي وظفها المبدع لنخرج بزمن عجائبي لا هو بخيالي ولا هو بواقعي.

## 3- ملخص الرواية

الرواية هي الترجمان الحكائي للواقع المعيش، حيث يعمد المؤلف إلى محاكاة الواقع بتوظيف التخيل السردي الذي ينظم الوقائع والأحداث بأسلوب أدبي يذهب بالقارئ إلى عالم آخر، ويجعله يسافر بين الكلمات التي تحمل في ثناياها التاريخ الحقيقي لأمة ما.

يعيش الروائي تجربة الزمن من حيث هو وعاء وجودي، يفصح عن الرؤية التاريخية للكاتب، وعن رؤيته للإنسان (6).

الرواية، فيتخيل أحداثها بزمن مستقبلي وبأحداث أخرى يُمكن أن تنحصر في شيء آخر .

#### 5- غلاف الرواية

جاء الغلاف الظاهري للرواية رائعا وعبراً عن جمالية كتابة المبدع مرتاض، عجائبا بعجائبية الأحداث المروية فيه، يغلب عليه اللون البني المائل إلى السواد وصفرة الشروق صباحا، لترمز للأمل، وصورة امرأة فاتنة حسناء ترتدي ثوبا أبيضاً فضفاضاً جميلاً، وكأن البياض يدل على عفتها وطهارتها تطلق سراح حمامة بيضاء هي الأخرى رمز للحب والسلام .

كما جاء اسم الأديب "عبد الملك مرتاض" يعلو واجهة الرواية بخط أبيض سميك .

#### 6- مواضع الزمن المهجن في رواية "وشيء آخر"

نلاحظ أن الزمن ← الهيئته التي قرأ بها مرتاض: الزمن في موالج النص ومخارجه.

الرواية واقع متخيل أكثر من الحقيقي،

العمل الروائي عند عبد الملك مرتاض يعد ممارسة إنتاجية، إنها تحويل للنصوص وتناص في فضاء نصي، تتقاطع وتتصادم فيه ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى<sup>(7)</sup>، فنجده يسقط الكتابة الروائية على المركب الزمني كمكون تقني ومعرفي، يدمج مع عوامل تخيلية ضمن مبنى حكاية، يزاوج بين سلطة التاريخ كخطاب مهيمن عايشته الجماعة البشرية وبين إرغامات سردية تعيد تشكيل الواقع تشكيلا رمزيا له .

دراسته الجامعية في أوروبا بواسطة المنحة إلى الخارج، والتي كرمه بها مشايخ الزيتونة العليا لتفوقه في الدراسة، أين تعرف هناك على متن القطار على فاتنته "كاترين" ليعشقها من أول نظرة ويطلب يدها من ثاني لقاء من أمها "جنين" المريضة.

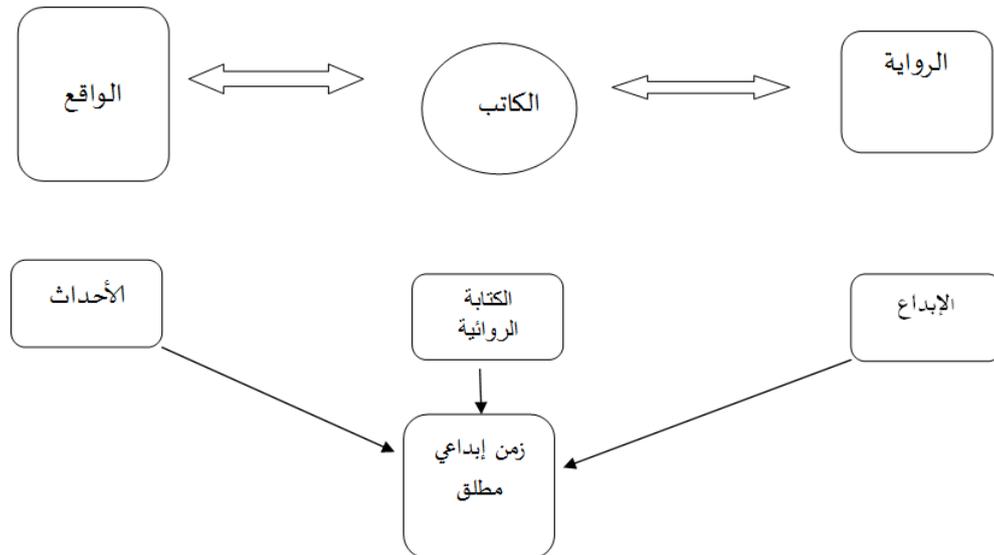
تسافر "كاترين" إلى الجزائر في زيارة لتتعرف على عائلة "كريم" التي أحببتها وضممتها كفرد منها، فتقيم معهم شهرا لتحضر زفاف "ريميم" فتقف منبهرة أمام عادات وتقاليد المنطقة وسكانها .

تعود "كاترين" إلى فرنسا ثم تسافر إلى أمريكا لنيويورك لتحضر زفاف ابنة خالتها "سوزان" أين تموت تحت أنقاض الجسر... لتنتهي الحكاية كما ابتدأت بوصف جمال امرأة وموت امرأة جميلة .

لنجد الأديب عبد الملك مرتاض يوظف الجمال في الأمكنة والشخوص وحتى الزمن الذي يوظفه أحيانا واقعيًا وتارة خياليا وتارة خليطا بين هذا وذاك .

#### 4- سيميائية العنوان

"وشيء آخر" دليل على أن هناك أحداثا رويت ولا تريد أن تنتهي . قصة تولد من رحم قصة أخرى، وكان الزمن في الرواية لا يريد أن يتوقف حتى أشعرنا بتعب الكاتب في النهاية ليضع نقطة التعجب في آخر الحكاية بجملة: "وانتهت الحكاية...". حيث جعل الموت حبرا قد جفّ ولا يريد أن ينطلق لحكاية أخرى لتكون النهاية مفتوحة أمام القارئ فتكمن عنده وعجائبية



#### القفز إلى المستقبل<sup>(8)</sup>

نلاحظ تداخلات زمنية في وشيء آخر، فيأتي الزمان فيها من حيث لا يمكن لمساحة المكان أن تحده لا في الزيتونة العليا أو السفلى ولا في المملكتين الصفاء والشقاء ولا في أوروبا ولا أمريكا... فجدّه زمنًا مهجّنًا خلط بين الحقيقي في بعض

فلا تسري الرواية بخط زمني واحد انتقالا من الماضي إلى الحاضر ثم المستقبل، بل يتراوح بين الوحدات الزمنية: الماضي، الحاضر، والمستقبل، لأن الأحداث في الرواية لا ترتب كما حدثت على أرض الواقع، وإنما يكسر الخط الزمني من خلال استخدام تقنيي الاسترجاع أي العودة إلى الماضي والاستباق أي

القطار إلى مالا نهائية، الحقيقة في أزلية الزمن والخيال في عدم توقف القطار فهل يعقل وجود قطار لا يتوقف إلا بتوقف الزمن رغم أن الزمن أزلي .

الأحداث والخيالي في أحداث أخرى .

ويمكن حصر بعض النماذج على سبيل التمثيل لا الحصر<sup>(9)</sup>؛  
1- في الصفحات الأولى من الرواية يذكر مرتاض امتداد زمن

وصف مشهد القطار السريع .	}	ص: 05 ← " خارج التاريخ . خارج الزمن "
		ص: 06 ← " يريد أن يغرق في الماضي السحيق "
		ص: 09 ← "أفضية الفناء "

2001/07/15م

## 2- ظهور الجن ليلا فقط

مما يعني أن :

2001-20 = 1981 ← تاريخ ميلاد كريم

1980 ← تاريخ حمل سارة من عمر وهو التاريخ نفسه في عودته من غياب 7 سنوات

1980 - 7 = 1973 ← تاريخ زفاف سارة وعمر + تاريخ سفره بعد أشهر قلائل .

1973 م هو تاريخ ميلاد الرواية يعني أن الرواية وقعت أحداثها بعد استقلال الجزائر، ولكن كيف علمنا أنها وقعت في الجزائر وربما في العاصمة؟!

نجد الكاتب هو الآخر يفصح في ص: 502 عن الملابس التقليدية الجزائرية التي ارتدتها سارة : البديعية القفطان الجلباب العباءة القبائلية والملاءة التلمسانية ....

ولكن لم يفصح مرتاض عن المكان والزمان ربما لكي لا تأخذ الرواية البعد الحقيقي الشفاف ؟ ربما كي لا يكون هناك سرد أشبه بالصحافة الرواية ؟ وربما كي يجعل القارئ في دوامة زمانية يحاول فك شفراتها في قراءتها كاملة سطرًا سطرًا وكلمة كلمة ؟

1973 م هو التاريخ المحتمل والقريب لانطلاق الرواية ولكن هل في هذا التاريخ كان سكان الجزائر يؤمنون بوجود مملكة الجن تعاشر مملكة الإنس ؟ وهل كانت هناك مملكات مجاورة كمملكة الصفاء ومملكة الشقاء ؟ زمن مهجن في كونه أبعد للخيال منه إلى الحقيقة فيرتبط الزمن بالحدث العجائبي الميتافيزيقي في النصف الأول من الرواية والمتصلة بعشق "سارة" و"عمر" .

فهذا زمن ولاية الرئيس "هواري بومدين" للجزائر ودور الجزائر في أحداث أكتوبر 1973 بمصر حيث التف الشعب الجزائري حول القضية وساند الشعب المصري . وهو تاريخ القمة العربية مؤتمر الجزائر نوفمبر 1973م.. أحداث سياسية تعكس قوة

ص: 12 ← "الإنس يسقون نهارا والجن تسقي ليلا " الحقيقة أن وقت ظهور الجن وتكاثرها هو عصرا قبل المغرب بقليل وليس ليلا بالضبط فزمنها جاء في الرواية خليطا بين زمن غروب الشمس واختفاءها تماما .

ص: 13 ← "لا أحد يعرف متى حضرت تلك البئر " عدم تحديد فترة بناء البئر لأن صنعها من الجن يدل على أن الزمن مجهول فيمكن أن يكون زمن سليمان عليه السلام أو زمن ظهور الإنس على أرض الزيتونة العليا . أو زمن ظهور الجن في مدينة "الشخشصار" مملكة الجن في الزيتونة السفلى ، خليط زمني يعطي بعدا إبداعيا ويزيد الرواية رونقا .

## 3- زمن الرواية

كل من يقرأ الرواية يحاول أن يحدد زمن حدوثها رغم أن المؤلف لم يصرح لا بتاريخها ولا بتاريخها،

و كأنها حدثت فقط .... لكن المتمعن والمبصر إليها بعين الباحث يحاول أن يسطر بعض التلميحات الزمانية التي ذكرها مرتاض في بعض المواقف منها :

عمر عمر أثناء زواجه ← 25 سنة .

عمر يكبر سارة بست سنوات فعمر سارة أثناء زواجها هو 19 سنة .

غياب عمر 7 سنوات

عودة عمر كانت وعمره 32 سنة

16 سنة ← إنهاء كريم ابن سارة تعليمه الابتدائي والثانوي .

3 سنوات هو زمن مكوث كريم في الجامعة بأوروبا .

عمر كريم عندما جاءت كاترين لزيارة للجزائر ← 20 سنة

صرح الكاتب في ص: 485 تاريخ زيارة كاترين للجزائر في

الشعب الجزائري ومواكبته وعلمه بالأحداث العالمية .

أما النصف الثاني للرواية الذي يمثل عشق كريم لكاترين فالزمن حقيقي أكثر منه خيالي .

مما يدل على أن الرواية نصفها خيالي ونصفها حقيقي زمن الأحداث مختلط مهجن مما زاد الرواية حسنا وأضفى عليها اللمسة الإبداعية اللامألوفة حتى أنها كانت بحق رواية الروايات .

وغيرها من الأمثلة الكثيرة في الرواية، كالزمن الخارق والسريع في عشق كريم لأول نظرة، وخطبة كاترين، وكأنه زمن الشباب والتلهف للجنس، بطريقة الحلال عبر الزواج والخطبة في اليوم الثاني من فتاة لا يعرفها ولا يعرف من تكون، والأغرب في الأمر غريبة غريبة عنه وعن ديانته، ليست من أهله ولا من موطنه، ولا تعرف عاداته ولا معتقداته، بالمختصر إمرة ليست من بني جلدته، سوى أنها امرأة تحمل المعاني الجسدية، كأى امرأة أخرى رغم أن النساء الجزائريات في زمن 2001، كن هن يخرن الزوجة ويرسمن معالم اختيارها، ومن تكون أصلها وفصلها وما والدها، وتفاصيل حياتها. وكن غالباً ما يخطبن بنات العم أو الخالة للابن، لمعرفة النامة بأصول الفتاة لأنها عروس المنزل المستقبلية، فيتخيلن الأحفاد قبل العروس ولا يمكن للابن المعارضة لأنه يثق في اختار أمه لعروسه .... فهل يمكن لكريم هذا الشاب المثقف العربي المتدين أن يقع في شباك سارة لجمالها فقط، ومتى كان الجمال عند العربي هو مسطرة لبناء أسرة متينة، في الظفر بذات الدين ؟

نحن هنا لنسنا بصدد انتقاد المؤلف ولن نكون أهلاً لوضع مواقف الحسن والقبح في الرواية كما يعتقد البعض، بل بالعكس هذا الخلط الزمني في الأحداث وسرعتها بسرعة البرق يجعلها أجمل من بريق البرق في حد ذاته، بل يجعلها فسيخساء زمانية لمن يريد السفر في زمن عجائبي يخرج عن نطاق المألوف إلى اللامألوف .

## النتائج

1- يعد الزمن أساس العملية السردية وذا لا يختلف فيه ناقدان.

2- لم تخرج الرواية عن ثلاثية المرأة والجنس والوطن :

المرأة : سارة - سلمى - كاترين

الجنس : حكاية العشق بين سارة وعمر وذكر المواقف الحميمية في الرواية، -ولا سيما اللغز الذي أطلعه عمر عند عودته لسارة لتتمكن من معرفته- والتي لا يمكن بتاتا قراءتها بصوت جهوري أمام المألوف لأنها تجعل القارئ في موقف يشعر بالخلج مع نفسه فكيف مع غيره .

الوطن : الزيتونة العليا ، الزيتونة السفلى ، باريس ، نيويورك ، مملكة الصفاء ، مملكة الشقاء ...

3- نلاحظ أن الزمن المهجن الإبداعي في وشيء آخر يتمثل في

ربط الواقع بزمن الكتابة التي لا حدود لها بين أنامل مرتاض .

4- واجهة الرواية لوحة فنية رُسمت لتعكس روعة الرواية، فقد جمعت الطبيعة عبقريتها في هذه الرواية فكانت الجمال بعينه وكانت أنامل المبدع مرتاض سيدة الجمال كله .

وهكذا يرفع القلم على إنتاج إبداعي جديد ومختلف، ليكون بعجائبية أحداثه ونمنمة لغته رواية

خطت بأنامل جزائرية وبمعايير كتابية عالمية، يجسدها فكر وإبداع الأديب الجليل "عبد الملك مرتاض".

## الهوامش

1- مفهوم الزمن ودلالته - زايد عبد الصمد - الدار العربية للكتاب - تونس - دط - 1988 ص 07 .

2- تحليل الخطاب الروائي، الزمن، الصيغة، التبئير - سعيد يقطين - منشورات المركز الثقافي العربي - بيروت - لبنان - ط 1997 3 - ص: 64

3- المرجع نفسه، ص 66

4- ينظر: تشكل المكونات الروائية، المصطفى الموسيقن، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط: 1، 2001، ص: 34.

5- ينظر: التباين اللغوي بين الفصحى واللهجة العربية، سيدي محمد غيتري، المجلة السابقة ( المجلس الأعلى للغة العربية)، ص: 145.

6- ينظر: تشكل المكونات الروائية، المصطفى الموسيقن، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط: 1، 2001، ص: 34.

7- ينظر: إستراتيجية التأويل (من النصية إلى التفكيكية)، محمد بوعزة، منشورات دار الاختطاف، الجزائر، ط: 01، 2011، ص: 33.

8- ينظر: الزمن في سرد سهيل إدريس، بهام السرور، مجلة عود الند، بريطانيا، مقال محمل بتاريخ: 12/02/2018، في الساعة: 21:51، على موقع المجلة الإلكترونية، <http://www.oudnad.net/spip.php>

9- النماذج مأخوذة من رواية وشيء آخر - عبد الملك مرتاض - دار القدس العربي - وهران - الجزائر - دط 2018 -

## المصادر والمراجع المعتمدة

1/ إستراتيجية التأويل (من النصية إلى التفكيكية)، محمد بوعزة، منشورات دار الاختطاف، الجزائر، ط: 01، 2011،

2/ التباين اللغوي بين الفصحى واللهجة العربية، سيدي محمد غيتري، المجلة السابقة ( المجلس الأعلى للغة العربية)،

3/ تحليل الخطاب الروائي، الزمن، الصيغة، التبئير - سعيد يقطين - منشورات المركز الثقافي العربي - بيروت - لبنان - ط 1997 3 - .

4/ تشكل المكونات الروائية، المصطفى الموسيقن، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط: 1، 2001،

5/ الزمن في سرد سهيل إدريس، بهام السرور، مجلة عود الند، بريطانيا، مقال محمل بتاريخ: 12/02/2018، في الساعة: 21:51، على موقع المجلة الإلكترونية، <http://www.oudnad.net/spip.php>

6/ عبد الملك مرتاض - على الرابط الإلكتروني : <https://ar.wikipedia.org/wiki> بتاريخ: 22/08/2018 في الساعة: 21:30.

7/ وشيء آخر - عبد الملك مرتاض - دار القدس العربي - وهران - الجزائر - دط 2018 -